مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 397– 420

الفن بين الصوّر الإبداعية ونشر القيم الأخلاقية

Between Creative Images and Dissemination of Moral Values

د/ رزيقة حيزير Razika Hizir [1]

[1] جامعة الجزائر2 (أبو القاسم سعد الله) razika.hizir@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل: د/ رزيقة حيزير Razika Hizir الاميل: razika.hizir@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: **08 /02/ 2025** تاريخ القبول: **23 /05/ 2025** **تاريخ النشر: 04/06/ 2025**

الملخص: إذا كان الفنّ يستدعي تجاوز كلّ ما هو مألوف من أجل الوصول إلى أفق بعيدة، فهو أيضا وسيلة هامة لنقل، ونشر القيم الأخلاقية السّائدة في مجتمعه، حيث يتبنى الفنان ما أملته عليه جماعته خلال تنشئته، ثمّ يجتهد على تفعيلها من خلال أعماله الإبداعية ولو دون قصد، لذا نجد أعمالا فنية تدعو إلى قيم الحبّ، والنقاء، والصّدق والتّسامح والصّمود... وكلّ ما يُصلح من عادات الجمهور وطباعه، ويُقوّم سلوكياته، ويدعّم هويته، أو يعزّز تاريخ حضاراته. ومنه تروم الدّراسة إماطة اللّثام عن جوانب من القيم الأخلاقية التي تحملها بعض أنواع الفنون.

الكلمات المفتاحية: الفن، الفنان، القيم، الأخلاق، المجتمع، الإبداع.

Abstract: if art requires transcending everything that is familiar in order to reach distant horizons, then it is also an important means of transmitting and disseminating the prevailing moral values in society. The artist adopts what his group dictated to him during his upbringing, and then strives to activate it through his creative works, even if unintentionally. Therefore, we find artistic works that call for the values of love, purity, honesty, tolerance, and steadfastness... everything that corrects the customs and character of the public, improves its behavior, supports its identity, or enhances the history of its civilizations. This study aims to uncover aspects of the moral values carried by some types of arts.

Keywords: Art, artist, values, ethics, society, creativity

1. مقدمة:

تنحصر الوظيفة الأساسيّة للفنّ في التّعبير الإبداعي عن الأحاسيس والأفكار والرّؤى، وهو مجال يكشف من خلاله الفنّانون عن مدى الانفراد والتّميّز اللاّمحدود البعيد عن كلّ القيود، لذا لم تغب الظاّهرة الفنيّة يوما عن اهتمامات المعرفة وفضول الباحثين والنّقاد. ومنذ بدأ الاهتمام بدراسة هذه الظّاهرة وحال الباحثين والدّارسين بين المدّ والجزر لما أفرزته نتائج أبحاثهم من توصيات تدعوا إلى حتمية التّغلغل والتّوسع أكثر في هذا الحقل البحثي؛ لمحاولة استكشاف ملامح وخصائص ما يبدو متاهة غير معهودة.

في هذا المضمار نجد اهتماما واسعا من قبل بعض باحثي علم الاجتماع الذين غطسوا في تفاصيل الظّاهرة الفنيّة وعلاقاتها المتباينة بالواقع الاجتماعي المعيش، حيث اعتبر الباحث في علم الاجتماع الفرنسي "بيار بورديو" Pierre Bourdieu أنّ عالم الفن وسيلة لفهم شروط وخصائص ومكونات العالم المحيط بنا، والذي يظهر في إبداعات تحتاج إلى جهود علمية متخصّصة، حتى نفهم تلك العلاقة بين المنتج أو الإبداع الفني ووقائع المجتمع ومختلف أحداثه. وفي نفس الوقت هناك باحثون آخرون إلى ضرورة التأريخ للفن مثل الباحثة "اينيك ناتالي" Nathalie Heinich، إضافة إلى الباحث "ديفيد انغيلز"David Inglis الذي نجده يطالب من جهته بحتمية فحص التّشكل التّاريخي لأنماط وعادات وطرق التّقبل الفني المعاصرة. وهي دعوة صريحة إلى دراسة "الفن" من زاويتين أساسيتين: زاوية الإنتاج الفني أو الإبداع في بكلّ جوانبها، وزاوية تلقي الجمهور المتذوق/ المستهلك أو المهتم بهذا الإنتاج؛ وهما زاويتان تحملان العديد من المناطق القابلة للدراسة والبحث.

من جهتها تتجه أغلب الرؤى الفلسفية إلى اعتبار الفن الأساس الأول لتحقيق الإبداع، وإن كانت العلاقة بينهما قد اتخذت سابقا صفة الصّراع، فإنّهما اليوم يقطنان نفس الفضاء ويقيمان في نفس المجال. أما الباحثون في علم النّفس فيعتبرون الفن مجالا متعدّد التّخصصات والزوايا، فراحوا يدرسون الإدراك الحسي والمعرفة، وخصائص الفن وإنتاجه، ثمّ استخدم المواد الفنية كشكل من أشكال العلاج النّفسي. إلى جانب هذه الحقول المعرفية هناك حقول أخرى لم تستثن هذه الظّاهرة الإنسانية من دراساتها وأبحاثها، خاصة وأنّ الظاهرة الفنّية لم تجذب الفضول إلى دراستها والبحث في صوّرها الواضحة والغامضة فقط بل أضحت تحيط بنا من كلّ جانب وزاوية من خلال ما نستخدمه أو نستهلكه في يومياتنا أو نمر عليه في شوارعنا.

إنّ الفنان يعيش حالته الفريدة خلال الأوقات التي ينفصل فيها عن واقعه ويفلت من نظرات الآخرين؛ يصبح غير آبه؛ متمتعا بما يراه وحده؛ فيُمطِرُه خياله بالأفكار الإبداعية المغرية، التي تتسرّب إليها المؤثرات

الدّاخلية والخارجية للمجتمع؛ وينتج عملاً فنياً ممزوجا بالعاطفة والخيال، والعقل دون أن ينفصل بالشكل الكامل عن حياته مع أفراد مجتمعه. ويمكننا ملاحظة هذه العلاقة من الحياة والتّفاعلات اليومية الموجودة مع البيئة المحيطة من خلال الأعمال الفنية والإبداعية المختلفة. لهذا، نجد مجمل الأعمال الفنية ظاهرها الإبداع اللامحدود للفنان ومحاولات الانفلات من المعهود، وباطنها خطوط خفية تلاحق تناقضات وتعثرات، وملامح الظّروف وطقوس الممارسات الاجتماعية. وتظهر النتيجة أنّ الفنان يعجز في كلّ عمل عن الانسلاخ والفرار من شريط القيم الأخلاقية الموجودة؛ ليتقاسم الفني بهذا مهمة حمل سلّة القيم الأصيلة مثله في ذلك مثل بقية الأفراد العاملين في التّخصصات الأخرى.

إذا نظرنا إلى القيم نجدها من المواضيع الهامة المستقطبة لاهتمام الّدارسين والمفكرين نظرا للتّفاعل القائم بينها وبين المجتمع من جهة، والمثل والسّلوك من جهة أخرى؛ حتى أنّه يستحيل وجود قيم بلا بصمات المجتمع الذي يتأسّس الفرد فيه ناطقا باسم الجماعة، ومحققا لأمانيها وطموحاتها، وحتى إن حاول التّميّز عن الجماعة والتفرّد بخصائص تحدّد شخصيّته وطريقة تفكيره، ونمط حياته وعاداته إلاّ الجماعي يظهر في زاوية معيّنة. ولأنّ الإنسان لا يخضع في سلوكه للغرائز كما هو الحال بالنّسبة إلى الحيوان، فإنّ القيم الأخلاقية تتمتّع بسلطة آمرة تلزمه بما يستشعره من ضرورات تحدّد له السّلوكيات الأفضل، ففي النّهاية هو يصدر أحكاما على سلوكه أيضا ليقيم خيرها من شرّها.

في هذا الصّدد نجد أصحاب المذهب الاجتماعي يرون الإنسان كائنا منخرطا في محيط من الظّروف المختلفة التي يتأثّر بها وتؤثر فيه، هو توجه صوبت إليه مجموعة من الانتقادات إلاّ أنّه فتح نافذة استطاع علماء الأخلاق وفلاسفتها رؤية الإنسان بين أحضان ظروف حياته المعيشة. ولأنّ قيمة أي بحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة ترتبط ارتباطا متينا بقيمة الأهداف والنتائج التي يسعى إلى تحقيقها، فإننا سنحاول الوصول إلى ما يبيّن مدى أهمية الفن بتنوّع وسائله وأشكاله، وأدواره التّرفيهية والتّثقيفية في تعزيز القيم الأخلاقية ونشرها عبر الأجيال والمجتمعات، فالفنون وهي تعيد تشكيل الصّور والرّسائل؛ يمكنها إحداث الكثير من التّأثيرات السّلوكية والفكرية والثّقافية.

بقدر ما يزداد تغلغل التكنولوجيا في مفاصل اليومي، بقدر ما يتصاعد دور الفن والثّقافة في تفعيل القيم الأخلاقية للمجتمع، ما يساعد في مواجهة التغيرات الفكرية والمظهرية التي تفرضها استخدامات ما أفرزه التطوّر المذهل للتكنولوجيا.

2. الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.2 الإشكالية وتساؤلاتها:

تتمحور إشكالية الدّراسة حول تجليات القيم الأخلاقيات عبر عينة من الأعمال الفنية، حيث تتنوع هذه الأخيرة بين الحديثة والموروثات التقليدية، وبين الفنون الحركية والتشكيلية والسينمائية والنحت والنقش والزخرفة والهندسة والدراما والطبخ.... ويفترض ان تحمل كل هذه الأعمال المتباينة قيم المجتمع التي تميزه عن باقي المجتمعات، أو تتمازج معها في البعض منها، وفي بعض الحالات يمكن للعمل ان يحمل قيما دخيلة لإبراز الرفض أو التمرد على ما هو موجود في الواقع. وتتباين تساؤلات هذه الورقة البحثية حول كيفية تجلي وتمظهر القيم الأخلاقية عبر الأعمال الفنية المتباينة، تحديدا عينة الدّراسة، وعن ماهية الأبعاد الناتجة التي تشكّل روح الفنان وتمثّل الجماعة؟

2.2 أهداف وأهمية الدراسة:

يستمد البحث الرّاهن أهميته من أهمية الأهداف المنشودة والمسطرة التي نروم الوصول إليها من خلال محاولة الإجابة على تساؤلنا الجوهري حول واقع الرابط أو العلاقة الكامنة بين القيم الأخلاقية والأعمال الفنّية المختلفة، أو كيف تتجلى القيم الأخلاقية في الأعمال الفنية ؟ لتحقيق ذلك سنفكك هذا الإشكال الرّئيسي إلى جملة المحاور التّالية: مفهوم القيم الأخلاقية وخصائصها، الفن بين متاهة الإبداع وسلطة المجتمع، ثمّ في الختام سنعالج موضوع تجليات القيم الأخلاقية عبر الصّور الإبداعية من خلال المرور على عيّنة من أنواع الفنون الإنسانية وما تحيله من أبعاد قيمية واضحة الملامح.

3.2 منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج المسحي القائم على آليتين هامتين: الوصف والتحليل، من خلال محاولة الغطس في أعماق متغيري افن والقيم الأخلاقية، حيث سنحاول تحليل الدلالات الرمزية لمضامين عينة من الأعمال الفنية، بعد تتبع مساراتها التاريخية وأبعادها الفنية، وذلك للوصول إلى جملة القيم الأخلاقية التي تدعو أو تروج لها، على اعتبارها أداة اتصال هامة في تعزيز النمو الاجتماعي والثقافي، وخاصة التأثير على السلوكيات لدى الأفراد، وهذا عبر دراسة عينة من الأعمال الفنية. كما اعتمدنا على كل وثيقة أو مرجع أو مصدر ذي صلة بالموضوع، بغية تحقيق أهداف الدراسة، والتي توفرت في مكتبة الجامعة أو في المكتبات

الافتراضية بالإضافة إلى استخدام الملاحظة المباشرة لكل ما كتب أو رسم أو ما قدم من قبل الفنانين والباحثين في خذا المجال.

3. مفهوم القيم الأخلاقية وخصائصها

1.3 التعريف بمفهوم القيمة:

تعتبر القيم من المفاهيم القديمة التي اهتم بها الكثير من الباحثين والمفكرين في مجالات مختلفة كالفلسفة، والتربية، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وغير ذلك من المجالات.[1]، لذا فقد اختلف الناس في رؤيتهم لهذا المفهوم، ولأدوره وأهدافه باختلاف منطلقاتهم الفكرية وتصوراتهم للإنسان والكون عبر مراحل التاريخ جميعها. والقيمة لفظ يحيل إلى معان متعددة، رغم أنّ المعاجم اللغوية العربية تكاد تتفق على معنى واحد لكلمة القيمة، فيقال قوّم الشيء، أي عدّله، وأمر قيّم أي أمر مستقيم. كما ورد في القرآن الكريم "ذلك دين القيمة" (سورة البيّنة الآية 5) أي دين الأمة القيمة أو المستقيمة.

يتميّز لفظ القيمة بتعددية الاستخدام أيضا، حيث يستعمل بمعنى الفائدة أو المنفعة، فيقال قيمة الهواء والماء والأكل والصداقة والعائلة الحبيب، والأبناء، والنبات الحيوان والبيت والصّحة والصّلاة وقراءة القرآن والصّوم... كما تستعمل الكلمة للتعبير عن معنى الثمن، أو قيمة الأشياء مقابل المال. من زاوية أخرى نجدهم ويستخدمون القيمة كذلك بمعنى المكانة والقدر عندما يتحدّثون عن الأشخاص.

كما تحيل كلمة القيمة إلى الجانب العاطفي بمعنى "عزيز" كالعائلة والأبناء والحبيب والأصدقاء والزّملاء، وأشياء مختلفة تملأ الحياة نسجت ألفة بينها وبين صاحبها. لذلك يحظى مفهوم القيم بتعريفات متعّددة، وقد دعا الباحث "رونيه ريمون" René Rémond إلى عدم التعجّب من تشتيت المؤلفات التي تبحث في موضوع نظرية القيمة، بحثا قاصدا، لأنّها واقعيا لم تنبثق عن جهد فيلسوف واحد، وإنّما انبثقت عن جهود تضافرت وتشابكت في صنعها دون قصد بفضل مجموعة من العقول التي اجتهدت وتعبت، وحتى وإن عملت بصورة متفرقة مبعثرة.[2]

اعتبرت القيم أيضا أنّها جملة أو مجموعة الأحكام التي يصدرها الأفراد على بيئتهم المحيطة والاجتماعية والثقافية والسياسية والمادية، حيث تكون بعض جوانب هذه الأحكام أحيانا نتيجة لتقويم الفرد نفسه أو تقديره، بيد أنّها في الحقيقة تنبعث من الإجماع الاجتماعي (الجماعي) الذي استوعبه الأفراد خلال

مراحل تنشئتهم التي كانت من قبل الجماعة التي خلق بين أحضانها، ثمّ استخدموها كمستويات أو معايير.[3] ويمكن أن نحدّدها من الناحية الإجرائية أنّها مجموعة الاستجابات أو ردات الفعل التي تنطوي على القبول أو الرّفض اتجاه رسائل اتصالية معينة تم استقبالها.

2.3 أهمية وخصائص القيم الأخلاقية:

لأنّ القيم من المفاهيم الجوهرية المتجليّة في جميع زوايا الحياة اليومية للبشرية: التربوية والاقتصادية، والسياسية والدينية والاجتماعية، والثقافية... لذا تمسّ العلاقات الإنسانية بكافة صوّرها لأنّها ضرورة لا بدّ أن تجدها في كلّ مجتمع منظم سواء أكان متخلّفا أم متقدّما... إذ تتغلغل في الأفراد فتتبلور في سلوكيات واتجاهات ودوافع وتطلّعات، تشمل الصّدق، والنّزاهة، والعدل، والشّجاعة، والتّسامح، والتّعاطف، والصّداقة، والاحترام، والمساواة، والصّدق، والتّواضع، والانضباط الذّاتي.

بهذا تضفي هذه الباقة الأخلاقية على الإنسان إنسانيته فتميّزه عن باقي الكائنات الحيّة التي خلقها الله إلى جانب الإنسان لتؤنسه في هذه الأرض وتتقاسم معه الهواء والمشرب والطّعام، كما تبعده عن الانحراف وما يعتمده من قيم سلبية كالكذب والخداع والظّلم والجبن والضغينة والكره والتكبر والتهاون والفوضى... فهي التي تحدّد مسار سلوكياته الحسنة، على اعتبار أنّ القيم ايجابية يكتسبها الفرد من خلال نشأته وسط أسرته حيث تلعب الأسرة الدّور الرّيادي في تربية الطّفل لقول رسول الله ﷺ: "فأبواه يهودانه أو ينصرانه"، فضلا عن دور المدرسة والجماعة التي ينتمي إليها، وهي (القيم) التي تمكنه من تحقيق الاتزان في شخصيته وتكاملها من جهة، ومن اختيار أهداف وتوجهات وغايات يراها جديرة بتوظيف إمكانياته ودوره في المجتمع من جهة أخرى.

تعد القيم الأخلاقية من أهم الدوافع التي تحرك سلوك الإنسان وتوجهه، فهي التي تحقق رغباته وتشبع احتياجاته البيولوجية والاجتماعية والنّفسية، وتساهم في تشكيل سلوكه وترتبط عنده بمعنى الحياة، والإنسان قلّما مثلا يقبل على مهنة لا تتفق مع القيم التي تكوّنت لديه إلاّ مرغماً كما أن تكيفه في الدراسة والعمل لا يتحقق إلا إذا كان ثمة وفاق إلى حد كبير بين قيمه والقيم التي يتطلبها العمل ويعمل على تحقيقها. وهي بذلك تحافظ على تماسك المجتمعات واستمرارها من خلال حفظ سلامتها بتقوية الروابط الاجتماعية ما بين الأفراد، عبر تحديد ما هو مرغوب أو مسموح به، وما هو غير مرغوب فيه أو ممنوع ومحظور، و"كلما حدث إخلال في القانون الخلقي في مجتمع معين، حدث تمزق في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح له أن يصنع تاريخه".[4]

تتميز القيم الأخلاقية بجملة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من المفاهيم المتداخلة معها، والتي نوجزها في الشّكل الموضّح أسفل، وهو شكل يختزل أهم النّقاط والخصائص المستخرجة بعد عملية اطلاعنا على عدد من المقالات والكتب وغيرها من الوثائق التي لها علاقة أو تصبّ في لبّ الموضوع المطروح في هذه الورقة:

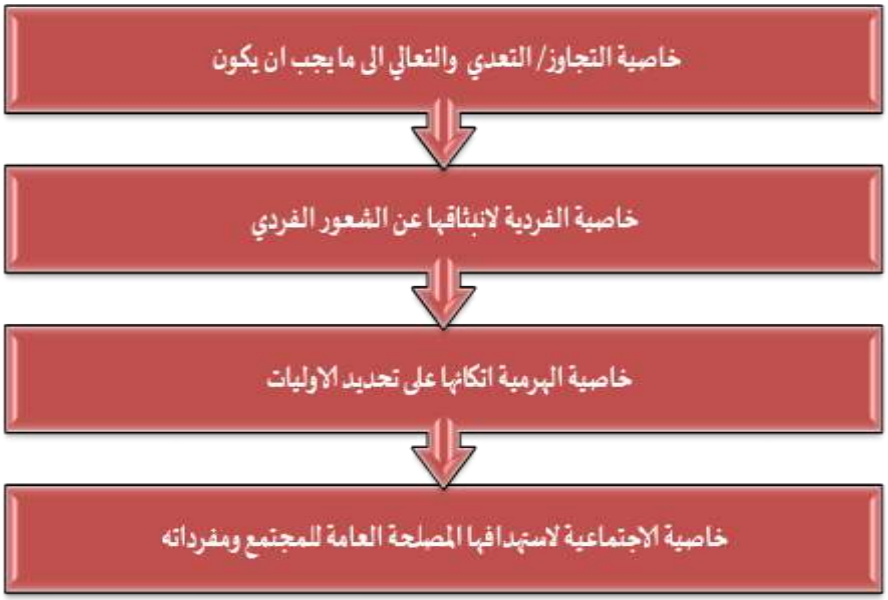

المصدر: من تصميم الباحثة اعتمادا على ما اطلعت عليه في الأدبيات السّابقة

كما هو موضّح في الشكل (أعلاه) نجد أنّ القيم الأخلاقية تنطلق من إطار اجتماعي معيّن، وهو مجال له خصائصه وأنواع تفاعلاته؛ تُمثِّل (بضم التاء) تمثُّل (بفتح التاء) كلّ فرد للقيم المتبناة في إطار زماني ومكاني محددين، وكذلك ضمن ترتيب هرمي واضح؛ يبيّن أولويات الفرد تجاه ما لديه كالوطن، ثمّ الأسرة، فالأصدقاء، أو في مجموعة أخرى تخصّ رفاهيته وزينة حياته الصّحة والبنين ثم المال، والسفر... وهكذا، وهي في كلّ هذه الدّورة تسعى نحو تجسيد ما يجب أن يكون من سلوكيات مثلى تحقق المصلحة العليا للفرد والجماعة. وتبنى القيم على قطبين هامين: فهي إما هذا الوجود، أو ذلك الوجود. إمّا الحقّ، أو الباطل، إما الخير أو الشّر".[5]

هذا معناه أنّنا نجد القيم تكون سلبية تعبّر عن الشرّ، وعن غير المرغوب في الأخلاق، أو ايجابية تعبّر عن الخير، وكلّ ما تقبله الأخلاق العامة التي تتفق عليها الجماعات، فهي علم قابل للبحث والدراسة واحتواء تضارب الانتقادات والآراء، وفن ترسم شكل السلوك في الحياة في أبهى الصوّر.

4. الفن بين متاهة الإبداع وسلطة قيم المجتمع

1.4 ماهية الفن: يرى الباحث "وليم هبيك" Beck William.H في كتابه الذي خصّصه لفن الرسم عند قدماء المصريين أن أبسط تعريف يمكن أن يُقدم للفن أنّه يمثّل التّعبير الصّادق عن الواقع ومحاولة إحيائه في عمل إبداعي، كما أنّه يمثّل التّفاعل بين المبدع والمتلقي. والفن حسبه هو تراث ثقافي ذي وظائف وعلاقات عديدة متداخلة فيما بنها.[6] من خلال هذا التعريف ، نجد أنّ الإبداع يحفى بالبعد القيمي ليعكس ثقافة الفنّان المعتد بالصّدق والنّزاهة وغيرها من القيم الأخلاقية الأخرى التي يمكن استخراجها من العديد من الأعمال الفنّية. كما يعتبر الفنّ من الوسائل التّواصلية الأولى التي اعتمدها الإنسان منذ بدء حضارته على الأرض.

تعني كلمة فن Art المشتّقة من اللّفظ اللاّتيني **Ars** المهارة، ثمّ أصبحت تشير منذ القرن التاسع عشر(19) إلى أنواع التّصوير والنّحت والزّخرفة والنّقش والحفر والرّسم... وغيرها من الممارسات التي مارسها الإنسان منذ القدم وهو يحاول تبسيط وتذليل عراقيل المحيط، وكذا التّعبير عن خلجات النّفس والخيال والرّغبة في كسر ما هو معهود عبر الإبداع. الأمر الذي جعل من الانجازات الفنّية اللّغة المشتركة بين كلّ شعوب العالم، فهي تتجاوز كلّ الفوارق الجغرافية والاجتماعية والثّقافية، لتصنع مساحات من التّواصل والتّقارب.

في هذا المضمار يرى مذهب الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط Immanuel Kant أنّ الفنّ نوع من التّمثيل الهادف، حيث يعزز عملية تهذيب القدرات العقلية للتّواصل الاجتماعي. كما يعتبر التّقدم الفنّي النّاجح بلا جدوى إذا جاء فارغاً من القوالب الأخلاقية، ويمكننا تشبيه ذلك ونحن نتبنى فكرة كانط أنّ الفنّ بلا أخلاق مثله كمثل أشجار النّخيل المغروسة في غير بيئتها لتزيين الطّرقات والأحياء، نراها أشجارا

شاهقة جميلة وجذابة لكنّ الإنسان جعلها تنحرف عن وظيفتها الأساسية، خلاصة القول أنّ الجمال بقدر ما يسرّ العين يمكن أن يقدّم ما يسعد، ويخدم جوانب أخرى موجودة في الحياة.

2.4 الفنان بين الفردي والاجتماعي: ينسج الفنان ثوب فنّه الذي يبدعه، وهو يخرج عن حدود صندوق المحيط الذي يعيش فيه، من خيوط دقيقة تتغلغل في جميع تفاصيل مظاهر الحياة الإنسانية، وخلال رحلة التّغلغل تندمج هذه الخيوط مع صور القيم التي تنظم العلاقات بين الأفراد والمؤسسات وتسطّر خرائط متناهية الدّقة تسير وفقها البشرية. ولا ينكر أحد أنّ الفن لا يعبر عن قيم فردية فحسب بل أيضا ينشغل بالقيم الجماعية بصوّرها المتعدّدة، لهذا يعكس الفن مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية... ومراحل تطورها. كما يعتمد الباحثون في مختلف الحقول عليه كمادة معرفية ومرجعا لدراسة التطّورات التي تشهدها المجتمعات البشرية في شتى المجالات، ومن ثَمَّ نجد أنّ الفن ظاهرة اجتماعية محضة، وكذلك هو ظاهرة اقتصادية، وسياسية، وثقافية، واتصالية ....

كما تعتمده بعض التّخصصات العلمية أداة علاجية للعديد من الأمراض النّفسية والجسمانية والمهنية... لا سيما عندما يتعلّق الأمر بنشر حبيبات الطّاقة الايجابية في الأرجاء، أو التّواصل مع من يُصعّبون الاتصال بالمحيط، ويفضلون معقل الوحدة والعزلة بعيدا، حتى وإن كان حيّز اهتمام الباحثين في هذه الحقول ضيّقا مقارنة ببقية الظّواهر الأخرى، وعليه فهو خيار يتخذ من أجل حلّ ما لم تستطع على تقديمه الأدوية وطرق العلاج وأنواع التّعامل.

إنّ الفنّ كما هو موضّح يمكن أن يكون حلا وتصويبا في عالم المهنة والسّوق والإدارة... سواء من ناحية جلب الزّبائن أو تحفيز وتفعيل دور الأفراد في البناء والتكوين. ويعتمد العمل الفني على عدّة متغيّرات تعيش في رحم المجتمع يتمّ تحديدها من قبل طبيعة وثقافة، وجغرافية، وعرف جيل، ونفسية

وطبقية أفراد المجتمع بحيث لا ينفرد متغيّر في تأثيره في بلورة الإنتاج الفنّي دون غيره، فتأثيراتها متباينة من حيث النّوع والحجم والفاعلية، وبالتّالي يعكس العمل الفني أيضا درجة تأثّر المتغيّرات الاجتماعية السّائدة في المجتمع والتي يمكن أن تكون زاوية من زوايا التّأثير.

إنّ الواقع وما فيه من قضايا متباينة أو متقاربة من مجتمع إلى آخر يلخص لنا طرق تميز فنان ما عن غيره من الفنانين، كما يقوم الفنان بالغوص في خلجات مجتمعه لرصد تميّزه عن سائر المجتمعات، ليخلق من جهة زوايا من الإثارة والاستجابات الفريدة غير المتوقعة، ويظهر درجة تعلّقه بهذا المجتمع الذي ينتمي إليه من جهة أجرى، عبر تعبيره عن ما هو مشترك من قضايا مصيرية داخل المجتمع الذي يعيش فيه، ويقوم بعرض بعضها في أشكال فنية متنوّعة مع عرض الرؤى والأفكار والعواطف والرّغبات، وحتى الأحلام والتّطلعات الجامحة المسافرة بعيدا، ومختلف التّوجهات والحلول الممكنة. وبهذا نجد أنّ الفن ليس ظاهرة روحية أو نفسية وغير ملموسة أو ملموسة، وإنما بالإضافة يمثّل عبر مختلف ما ينتج في حقله مظهرا اجتماعيا واقتصاديا وتوجها سياسيا وفكريا، واستجابة طبيعية مميزة لمظاهر الوجود والطّقوس الموجودة في اليومي، في شكل جماعي أو فردي.

وعليه فإنّه كلّما حاول الفنان الإبداع أظهار دراجات شغفه، ووعيه، وحيطته في التقاط ما يستفزّ ويُحرق مشاعره وعواطفه، أو يسافر بخياله، أو يقلق عطشه للتّعبير حول ما يدور من حوله في شكل متناه ومتمرّس سواء أكان العمل الفني أدبا أو تشكيلا أو مسرحا أو موسيقى أو رقصا... وبالتالي يشارك وهو يكشف عن رؤيته للحياة بحدوده الفنية حتى وإن تجاوزت زمنه وعصره بما تحويه ليكون الفنّ أحد المؤسسات التي تساهم عملية التّنظيم والضّبط الاجتماعي خاصة بعد أن أصبح ضرورة من ضروريات الحياة المعاصرة.

5. الفن وتفعيل القيم الأخلاقية

كان من الضّروري أن نمهّد سابقا لأهميّة القيم والفنّ وعلاقتهما وصولا إلى أهمية الفنون ودورها الهام في نشر ما يتبناه المجتمع الذي تنحدر منه من قيم أخلاقية. إذ يُعتبر الإبداع الفني عامة خطابا تواصليا يعتمد فيه المرسلُ دعامة أو وسيطا فنيا ليحمل موضوعا ذي غايات عاطفية وأخلاقية تتشكّل ضمن سياق مليء بالاستراتجيات والتّكتيكات، ويبدو بهذا الخطاب الفنّي ظاهريا خطابا يختال بأنّواع التّميّز ودرجات الإبداع التي نحتها الفنانون، بينما تكون أعماقه حُبلى بآلام وأمال وعثرات المجتمعات ومقاوماتها ضدّ من استولى على أرضهم حتى وإن كان الخطاب تلقائيا.

بالعودة إلى أهمّ أنواع الأعمال الفنّية الموجودة في المجتمع الإنساني، نجدها تقدّم لنا خطابات ثقيلة بالقيّم الأخلاقية النّاتجة عن تفاعل الفنون اجتماعيا وثقافيا عامة، وتكشف عن مدى إمكانياتها في إحداث أنواع من ثورات التّغيير. كما يمكن أن تكشف لنا الأعمال الفنّية التي لا تزال ماثلة حقائق وأحداث تاريخية عاشتها البشرية، من خلال صوّر الإبداع كالمقاطع الموسيقية وأنواع الرّسم والمعمار والنّحت والأفلام والشّعر والنّثر... التي أرخت مساحاتها لتلهم وتكون رابطا تواصليا بين الأجيال المنقرضة منذ أمد بعيد، وبين الأفكار والقضايا التي تصوغ شكل المستقبل.

1.5- تجليات القيم الأخلاقية عبر الفنون الأدبية والتشكيلية: مارس الإنسان العديد من النشاطات الفنيّة منذ نشأته لما لها من راحة نفسية كبيرة، فهو دخل في حوار مع النّفس ، وراح يعبّر عن خلجاتها بطريقة خاصّة لاستخراج ما يدور فيها، كما لم يفوّت التعبير عن شعوره وهو يتواصل مع الآخرين أو مع المحيط ، وهو (الفنان) بهذا يخلق ثنائية وحركة ترقيه لما هو أعلى من التّعبير عن الذّات وتغيّر حالاتها. وإذا اشرنا إلى الرّسم أو الفن التشكيلي نجده متنوّعا متعدّد الأوجه، وقد تباينت أدواره في عمليات التّكوين ونشر القيّم، من خلال الرسائل التي يحمله التعبير عن الأفكار والمشاعر.

في هذا المضمار عبّر الفنان "بيكاسو" Pablo Ruiz Picasso عبر لوحته الشهيرة "غيرنيكا" Guernica، عن فظاعة الحرب وتأثيرها المدمر على الإنسانية، فمن خلال هذا العمل، تم تسليط الضّوء على قيمة السلام ونبذ العنف بأشكاله. كما عبّر الرسام إدوارد مانيت في لوحاته عن مدى معاناة الفقراء وتهميشهم الاجتماعي والاقتصادي، فعكست ريشته أهمية المساواة وحقوق الإنسان. وعززت لوحات "تشرشل" Winston Churchill التنوع الثقافي وقيمة احترام هذا الاختلاف ما بين الشعوب، رغم أنّه كان رجلا عسكريا، ينتمي إلى دولة استعمارية. من جهتها تظهر مختلف لوحات الفنون الإسلامية، قيمة التّضامن العائلي والترابط المجتمعي في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث يُنظر إليها كأداة لنشر القيم الروحية والأخلاقية في المجتمع.

ولأنّ الفن التشكيلي وسيلة للتعبير عن الجمال، وأداة فعالة لرفع الوعي المجتمعي حول القضايا الإنسانية والأخلاقية، وتعزيز انتشار القيم التي تساهم في تحسين حياة الأفراد والمجتمعات؛ فإنّ الجزائر تمتلك إرثًا فنيًا غنيًا يشمل العديد من اللّوحات الفنية المعبرة عن الهوية والقيم الوطنية والتضحية، والقيم الاجتماعية،

والموروثات الثقافية، مثلما نجده لدى فنان المنمنمات "مُحَمَّد راسم" الذي تميزت أعماله بإبراز الجمال الطبيعي للمرأة الجزائرية وهي بالأزياء التقليدية كرمز للمقاومة والحفاظ على الهوية وحب الوطن، وتظهر لوحاته التقاليد الجزائرية، وقيمة المرأة شريكة الرجل في المجتمع، واحترام ذوقها المتجدد، وكذا الترابط الاجتماعي. هذا، وتحمل أيضا رسائل اجتماعية وتاريخية قوية، حيث تبرز معركته مع المستعمر فنيا من خلال التذكير بالخصوصية الدينية والاجتماعية الجزائرية، والفخر بما كانت عليه حال الجزائر قبل مجيء فرنسا.

لم يبتعد الفنان "مُحَمَّد اسياخم" كذلك عن القيم الأخلاقية المشبعة بالوطنية وعن زميله "مُحَمَّد راسم"، إذ سعى إلى تقديم قيم وخصوصية وطنه الجزائر، وحبه الشديد لأرضه، واتخذ من ريشته سيفا أبرز به ضرورة محاربة الاستعمار الفرنسي، ورفضا لقيمه السلبية كالظلم والاستبداد والاستعمار، فدعا إلى قيمة الصدق والحرية والكرامة، والاعتزاز بالانتماء إلى وطن مختلف عن واقع أشبعه العدو القهر والحرمان والظلم.

لقد كان هاذين الفنانين مدرسة أخلاقية ومصدر الهام للعديد من الفنانين التشكيليين الجزائريين لاحقا، على غرار لوحات الفنان بختي الجزائري الذي لا يزال يرسم تفاصيل الحياة في الريف الجزائري بأسلوب مميز يعتمد الألوان الزاهية التي تخدم الاتصال العاطفي مع البيئة الطبيعية الخلابة، من خلال تمثيل المناظر الريفية والحياة البسيطة وقيمة الترابط الاجتماعي وحب الناس لبعضها في الجزائر مع تركيز خاصة على البراءة والطموح والنضج... وغيرها من أعمال بقية الفنانين الذين يطول سرد أسمائهم، وتمثل لوحاتهم الحياة اليومية بقيمها الأخلاقية والاجتماعية عبر الرّموز الشعبية، كما تسرد أعمالهم موضوعات تبرز مدى التمسك بالتراث في زمن الحداثة وبالرموز الشعبية التي تحيل إلى دلالات عميقة تعتمد قيما سائدة.

القيم الأخلاقية التي تغرس في طبائع الإنسان غرسا خلال تنشئته تظهر من خلال فن الشّعر والأدب والقصص الذي لعب دورا بارزا في إبراز الجمال، وأيضا التّعبير عن المقاومة والتحدي وقيم المجتمعات المختلفة على مدار الأزمنة الغابرة. لقد سجلت لنا الكثير من القصائد والأشعار والروايات والحكايات، وحتى الأساطير، ونصوص المسرحيات، ما كان يكابده الشّعراء والأدباء والكتاب مع صعوبات الطّبيعة برياحها العاصفة، وثلوجها الباردة وشموسها الحارقة، ومع الحب أو الحرمان منه، ومع الحروب وغياهب السّجون والزنزانات... أو مع الإخفاق والإحباط، التحدي والنّصر... وغيرها من الظروف التي كتب تحت ظلالها الكاتب تجربته محاولا مواكبة ما يحيط به بالوصف، دون تغييب عناصر القيم الأخلاقية التي تميّز سياق مجتمعه. ولطالما افتخر العرب دوما بعزتهم التي تطال القمم، كما تغنوا بخصالهم الإنسانية الجميلة كالشجاعة والوفاء والكبرياء والثقة في النّفس والكرم والجود... وهي أخلاق مثّلت غايتهم.[7]

في هذا الصدد نجد مثلا رواية "توقعات العظمة" Great Expectations لكاتب الواقعية الاجتماعية "تشارلز ديكنز"Charles Dickens الذي نسج أدبه وروايته بخيوط الدّعوة إلى مجموعة من القيم الأخلاقية مثل الصدق، والعدالة الاجتماعية، والوفاء والمساواة والمعاملة الحسنة والرحمة...، ونجد شخصية "بيب" تنتقل من حالة الفقر إلى الغنى، فتواجه تحديات أخلاقية واختيارات صعبة تعلمها أهمية الأمانة والوفاء بالتزاماتها كما نجد في روايته "أوليفر تويست"Oliver Twist يسلّط الضّوء على معاناة الأطفال الفقراء في لندن خلال القرن 19، فراح يدافع عن حقوق الأطفال ويحارب الاستغلال، عبر شخصية "أوليفر".[8] لقد أيقظت خصائص المجتمع الإقطاعي عبقريته في النقد اللاذع للواقع المعيش، ودفأت قلبه في الحلم بما يجب ان يكون، فركز نظرته الفنية الثاقبة على التناقضات الاجتماعية المستفزة والتي صاحبتها التغييرات لاحقا مع الثورة الصناعية. وقد أثارت احتجاجه على القيود المفروضة على الكاتب في العصر الفيكتوري وهو يهتم بالمفزع المخيف،[9] حينما قال:"إنّ غموض الشر مثير بالنسبة لنا الآن كما كان مثيرا في عصر شكسبير، وإنّه من الافتعال أو التخنث ان نقول انّه لا ينبغي لنا ان نحدق أبدا في الهاوية. وانّ علينا ان نشيد رواياتنا من لطائف الرجال والنساء الذين يحبون الحياة سهلة."[10]

نجد أيضا نفس القيم الأخلاقية دعت إليها رواية "مزرعة الحيوانات" Animal Farm لجورج أورويل George Orwell، الذي استخدم الحيوانات كرموز للحكام وواقع المجتمعات البشرية، فانتقد قضايا الفساد، التسلط، السلطة، والمساواة، والظلم، فأرسل رسالة تدعو إلى العدالة والمساواة في المجتمعات.[11]

أما قصص "موبي ديك" Moby-Dick للأديب الأمريكي هيرمان ملفيلHerman Melville فقد قدمت تأملات فنية حول فكرة الانتقام والحماقة، وأبرزت تبرز القيمة الأخلاقية حول التوازن في السعي وراء العدالة وتجنب التهور في البحث عن الثأر، وتعكس الصراع الداخلي بين الخير والشر. كما سلطت "هاربر لي" الضوء عبر رواية "لقتل طائر بريئا" To Kill a Mockingbird على العنصرية في الجنوب الأمريكي في فترة الثلاثينات، وتعرض الكفاح من أجل العدالة وحقوق الإنسان. الشخصية الرئيسية "أتيكوس فينتش" تمثل قيمة النضال من أجل الحق والعدل، حتى في مواجهة المجتمع الظالم.[12] وأما الروسي Fiodor Dostoïevski فقد دعا من خلال رواية "الأبله" The Idiot، وعبر شخصية "الأمير ميشكين"

الطيّبة إلى التّمسك بالقيم الأخلاقية المبنية على الصّدق والنّقاء والبراءة ونبذ ما الوسط المعقد المليء بالمكر والخداع والتلون.[13]

من خلال ما ذكرنا فإنّ هذه الجهود الأدبية تسرد دعوة صريحة إلى ضرورة التمسك بقيم أخلاقية واضحة كالشّجاعة، والحكمة، والعدالة والمساواة والنّقاء والتّضحية تماما كما برز ذلك عبر مغامرات "علي بابا" و"السندباد" التي عكست قيم العدل، التضحية، واحترام القيم الاجتماعية؛ ليبقى للأدب أحد أقوى الوسائل التي يمكن استخدامها لنقل القيم الأخلاقية من خلال الشّخصيات، والسرد القصصي، والحوار، يمكن للكتاب أن يعكسوا تعقيدات الحياة، ويعززوا الفهم العميق لأهمية الأخلاق في بناء المجتمعات السليمة.

وليس من الغريب أن نجد الدّعوة إلى التمسك بالقيم الأخلاقية في شعر وأدب المؤلفين الجزائريين، فقد أمنوا شانهم شأن الأدباء الغربيين والعرب بحتمية الأخلاق في تسيير الحياة فرواية "الطوفان" للأديب "الطاهر وطار" خاضت أحداث محنة الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي والحرب، وفتشت عن الآلام النفسية والجسدية التي عاشها، لتسلّط الضّوء على جملة من القيم مثل الصمود والتضحية، والوفاء للوطن، وكره الذل والظلم. كما يعتبر الأديب "مُحَّد ديب" من الأدباء الذين ركزوا على القيم الأخلاقية والاجتماعية من خلال تقديم أعمال صوّرت حالة التنشئة الاجتماعية خلال الحقبة الاستعمارية، وجملة القيم التي حاولت الأسرة حينها غرسها في الأطفال، حيث استعرضت أعماله العديد من القيم مثل الحرية، الصمود، والتّضامن في مواجهة الاحتلال، والترابط الاجتماعي، ورغم أنها "تعتبر مزجا بين هوية الكاتب الجزائري الذي يريد أن يخدم بلاده بقلمه من جهة، ولغة المستعمر من جهة أخرى. وهذا التمازج والتداخل الثقافي بين الأنا والآخر تؤثر في روح الكتابة."[14]إلاّ أنّنا نجد الكاتب مثلا ورغم مشاكسات عمر يجعله في محطات أخرى صاحب شخصية غير أنانية، كريمة وعطوفة، فالبطل عمر نفسه الذي ينتزع قع الخبز من زيل له في المدرسة ضعيف؛ يعطيها الطفل ضعيف آخر جائع، لتصبح قطعة الخبز وتقاسمها نوعا من المشاركة مع الغير، وتصير العلاقات الإنسانية المتشعبة أول ميزة تميز هذه الشخصية.[15] وكما يتميز "مُحَّد ديب"بالتناقض بين العيش بخصائص سياق جزائري ولغة مستعمر، يتميز عمر أيضا بثنائية من القيم، إذ يبدو متناقضا في تصرفاته التي تتأرجح بين العدائية المطلقة والانتهازية التي تجعل الجميع يهابه والشخصية الحنونة الكريمة والمحبة، خاصة مع الفقراء والضعاف، ومع جدته.[16] وغن ركزت كتابات ديب على اليومي في البيوت الجزائري، فإنّ ما سردته رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" التي كتبها زميله "الطيّب صالح"، قد ركزت على قسوة الاغتراب والصّراع الذي يعيشه الإنسان مع الآخر في دعوة إلى حب

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 397– 420

الوطن تارة، وقبول الإنسان لأخيه الإنسان كما هو تارة أخرى. وتناقش الرواية موضوعات مثل الاستقلال الفكري والعدالة الاجتماعية والتحديات التي يواجهها المهاجر في مجتمعات غير تقليدية.[17]

2.5 الموسيقى والأغاني: بنفس أسلوب الأدباء فإنّ المقاطع الموسيقية والأغاني، والأهازيج الهادفة... قد أماطت اللثام عن كمية أحاسيس وعواطف الفنانين دون الانحراف عن نزعة القيم الأخلاقية المنتشرة ومحولات الارتقاء إلى ما تسمو إليه أحلامهم ومحطات خيالهم وآمالهم. وقد أدرك الباحثون الذين بحثوا في هذا المجال أهمية الحفاظ على القصص والمقاطع الموسيقية والأغاني التي تطرح الحكمة وقيم الحق والحرية والعدالة والاحترام والحب... كما تبدو في المجتمع.

ومن الأمثلة نذكر "المالوف" الذي نشأ في بلاد الأندلس ونزح منها إلى الأقطار المغاربية الجزائر، وتونس، وليبيا، والمغرب، بالإضافة إلى الأغاني الشّعبية التي انتشرت بشكل واسع في العديد من المناطق، حيث تملكتها الجماهير، فتنوّعت موضوعاتها المتعلّقة بمواقف الحياة المختلفة وفق مناسباتهم وتقاليدهم، ثمّ انتقلت شفاهية بدون تدوين عبر الأجيال المتعاقبة.[18] وقد لعب تكرارها في المناسبات على إعادة إنتاجها لإحيائها وتواصلها، ما أدى إلى الحفاظ على العديد من الأغاني والقطع الموسيقية التّقليدية والشّعبية، بالإضافة إلى انجذاب المبدعين الذين أضافوا عناصر موسيقية وإيقاعات جديدة أعطت لما هو موجود ألوانا من الأنغام والحركات والتي ترمز إلى ما هو موجود من قيم أخلاقية واجتماعية كالأمل، والصدق، والحرية، والسلام، والحب، والتضحية، والصفاء.

ولأنّ الموسيقى والأغاني تعدّ كذلك من وسائل الاتصال ما بين الأجيال والمجتمعات، ومن دعائم التّعبير الفنّية التي لها تأثير قوي على الوعي الجماعي، ويمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في نشر القيم الأخلاقية في المجتمع؛ فإنّه يمكن أن نحدّد العديد من الأغاني التي تعمل على تعزيزها كأمثلة، ومنها ما يسلّط الضّوء على القضايا الاجتماعية كالفقر، والظّلم، والعنف، وحقوق الإنسان، والمساواة... وعلى سبيل المثال، يمكن أن نذكر أغنية We Are the World التي أطلقها المغني العالمي "مايكل جاكسون" مع مجموعة فنانين من جميع أنحاء العالم، والتي ركزت على القضايا الإنسانية كالفقر والمجاعة في إفريقيا، وعكست قيمة التضامن ومساعدة الآخر. كذلك يمكننا استحضار الأغنية السويدية تحيًا فلسطين Free Palestine، التي اكتسحت ميادين العالم ودعت إلى تعزيز قيمة السلام والتسامح، والوقوف إلى جانب المظلوم مهما كانت

جنسيته، وحملت موسيقى هذه الغنية رسالة من السلام، شأنها شأن أغنية "Imagine" للمغني "جون لينون" John Lennon تتحدث عن عالم خالٍ من الحروب والصراعات، ومليئة بالتسامح والمحبة، إلى جانب أغنية Black or White للمغني "مايكل جاكسون" Michael Jackson التي روجت للمساواة حق للجميع بغض النظر عن العرق أو اللون.

وبالعودة إلى الأغاني المحلية نجد الموروث منها والحديث، ولكن كلاهما لا يزالان حاضران، وقد عملت الانترنت على انتشارهما أكثر من ذي قبل، وهي في مجملها تدعو إلى قيمة التّسامح والصّفاء والنّقاء والنّزاهة في التعامل مع الآخر، وإلى التضحية وحب الوطن، أو الإخلاص والوفاء كما هو موجود في أشعار العربية في العصر الجاهلي، وإلى متانة الروابط الأسرية والابتعاد عن الأنانية وحب الخير للغير... وغيرها من القيم الأخلاقية. نجد مثلا في أغنية "يا الوالدين" للمغني الشّعبي "عبد القادر شاعو" وزميلته "نادية بن يوسف"، أو أغاني "دحمان الحراشي" التي دحمان الحراشي ترسل رسائل مشفرة تتضمّن التّسامح مع الذّات، الصدق والأمانة في الحب والتعامل مثلما نجده في أغنية "الي يحب صلاحو" أي ""الأناني" وأغنية "تسمع وتشوف" وغيرها من أغانيه التي وخطت بالحكمة والمبادئ الإنسانية الراقية، التي تقدم النّصيحة بهدف التنشئة الأخلاقية لما فيها من الالتزام بالأخلاقيات. هذا ونجد بعض الأغاني على غرار "وين الملايين" التي تدعو إلى رفض الذّل والإهانة، والعيش بكرامة، والوقوف مع المظلومين في فلسطين.

وبهذا نجد أنّ الموسيقى والأغاني ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل هي أداة قوية أيضا للتواصل ونشر القيم الإنسانية والأخلاقية، من خلال اختيار الكلمات واللحن المناسبين، ليتمكن الفنان من تحفيز النّاس على التّفكير في قضايا الأخلاق، وتوجيههم نحو سلوكيات أكثر إيجابية وصحية؛ تفيد المجتمع.

3.5 الفنون الحركية والقيم الأخلاقية: يجمع الرّقص بين الرّياضة والفنّ عبر الحركات المتناسقة التي تتباين وتتعدّد في الشّكل والإيقاع باختلاف زمن ومكان ظهورها، بالإضافة إلى اختلاف السّياقات المجتمعية والثّقافية التي تنحدر منها. يُختزل الرقص في التّعبير عن مزاج وعواطف الفرد أو الأفراد المنسجمين وجدانيا مع العواطف أو مع الموسيقى أو الغناء أو معهما على حدّ سواء.

كما يعتبر الرقص بكلّ أنواعه تعبير عن قيم أخلاقية مجتمعية مجودة بعمق هدفها تعزيز التّواصل التّفاهم والتعاون بين الأفراد أو الكشف عن صفاء ونقاء الدّاخل الإنساني. يختصر باحث فن الرّقص في أنّه لغة احتفالية طقسية تحمل مضامين سياسية واقتصادية، وثقافية ودينية، وعادات وتقاليد، وفولكلور الشّعوب، ليعبر عن شعورها الجمعي، هذه اللّغة تتمّ من خلال حركة الجسد.[19]

يصف باحث آخر بأنّه حركات منتظمة واعية حاملة لمقاصد ومعان إنسانية، لتصوغ خطابا مرئي غير لفظي، يعبّر عن مختلف القضايا والقيم الاجتماعية والرّمزية. ولفهمه يجب العودة إلى السّياق الثّقافي والتّاريخي للمجتمع.[20]

لقد كشفت العديد من المصادر التاريخية أن الرّقص وما يرتبط به من طقوس، ومراسم اقترن بالوجود الإنساني منذ أقدم العصور، حيث عبّرت حركاته عن الحالات النفسية والوجدانية كالفرح والحزن، والقلق والاستعداد للقتال وغيرها، وكان منها ما يؤدى خلال الاحتفالات الدينية من رقصات تعبيرية رمزية للتّقرب بها من الآلهة أو للحصول على مباركتها.[21]

ولأنّ الرّقص وحركاته المتباينة لم يكن مجرّد حركات بهلوانية لا تؤدّي رسائل توجّه تصرّفات النّاس نحو القيّم الأخلاقية الإيجابية أو تحفّزهم على التّفكير الأخلاقي، بل كلّ حركة تعبّر عن المشاعر الإنسانية والتّجارب الاجتماعية والوجدانية وعن القيم والمعتقدات مما يساهم في تعزيز التّفاهم والاحترام بين الثّقافات والشّعوب والأمم. كما تعبّر الرّقصات الجماعية التي تتكوّن من عدّة أفراد عن قيم الانضباط والتّفاني، التّضامن والتّضحية، الإتّحاد والتّعاون، الاحترام والتّسامح، الحرّية والتّواصل، الانسجام والتّناغم، والعدالة والمساواة... بين النّاس. هذه القيم الأخلاقية يمكن لمسها مثلا في رقصة الدّبكة عند الأتراك وعند المشارقة (فلسطين، سوريا، لبنان، الاردن، العراق) التي تصنّف اليوم ضمن أكثر الرّقصات الفلكلورية انتشارا في هذه الدّول. وهي رقصة تتكون من مجموعة من الأفراد (الذكور أو الإناث) يصطفون على شكل صف أو على شكل قوس وأحيانا يتحوّل القوس إلى دائرة لتُؤدى الرقصة إما مختلطة أو بانفصال الجنسين. يترأس مجموعة الراقصين أول من بادر للرقص أولا، لذلك هو من يحدد لاحقا شكل ومنحى الرقصة، إذ يقوم أثناء قيادته للحلقة بأداء حركات متنوّعة تظهر مهاراته في الحركة من خلال ضرب الأرجل وتحريكها مع الأكتاف. إضافة إلى ما ذكر من قيم أخلاقية، تختزل من جهتها كل من رقصة الحرية لدى السّكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر)، ورقصة الفلامينكو حب العمل والتفاني والتفاعل والشّغف للحياة والانطلاق، كما تعكس ورقصة "السالسا" Salsa المرح والحيوية ومتعة التّواصل الايجابي بين النّاس، في حين تحثّ رقصة "الهيب هوب" Hiphop على العدالة الاجتماعية والسّياسية والتّضامن بطريقة فنّية.

لم تغيب أنواع الفنون الحركية بالجزائر عن سلّة القيم الأخلاقية المذكورة آنفا حيث تعبّر رقصة "العلاوي" المحلّية عن الفرح والحماس والطّاقة الايجابية، كما تشير إلى قيم الاحترام والتّفاهم والعمل الجماعي. وهو ما تعبّر عنه أيضا رقصة البارود التي تميّز منطقة الجنوب الجزائري، إذ لا تنحصر رمزية أغلب الرّقصات الجماعية في الجزائر في الجانب الرّوحي فقط، بل ارتبطت بمقاومة المستدمر الفرنسي، وكانت أداة مقاومة ونضال بالكلمة والعزف والأداء. واليوم أصبحت كل هذه الرقصات الشّعبية تشكّل جزءا هاما من التّراث التّقاليد المتعارف عليها التي يحافظ عليها أفراد بعض المجتمعات على غرار الجزائريين ويعتدون بها، على اختلاف أشكالها وأنواعها، ويعملون على إحيائها في المناسبات والمهرجانات. هذا، وتشجّعها الثّقافة العالمية، نظرا للأهمية التّعبيرية التي أدتها سابقا، ومتعة الفرجة التي تحققها اليوم في المناسبات المختلفة. في هذا المضمار يرى الباحث المصري "فوزي العنتيل" عبر كتابه الذي خصّصه لموضوع الفلكلور، أنّ هذا الفنّ هو نتاج الحياة نفسها، حيث نبع من النّشاطات اليومية للنّاس ليعكس الأعمال التي يقومون بها، ومختلف الأعياد والاحتفالات، والعادات والطّقوس الممارسة، ليشكّل بهذا المرآة الواضحة والصّريحة التي تعكس تاريخهم، وحضارتهم، وتباين الظّروف الطّبيعية المحيطة.[22]

6. خاتمة:

تحتل القيم الأخلاقية مكانة كبيرة في حياة الشعوب على اختلاف أجناسها وأجيالها، إذ تعني الارتقاء عن الحيوانية، والعيش في الفوضى، والخضوع لقانون الغابة. من جهتها تتحرك أنواع الفنون داخل هذه المنظومة القيمية التي يكرسها الإبداع، ويسعى إلى إيصال معاييرها وضوابطها عبر خطاب بصري أو سمعي مشفر رمزي. فالفن بهذا خطاب ذي قيمة جمالية وعمق دلالي يخفي تحت عباءة الجمال والاختلاف رسائل مضمرة تستهدف تقويم السلوكيات أو نشر الأفكار أو الإيديولوجيات أو القيم... وغيرها من الأهداف المسطّرة من قبل الفنان، أو الفنانين.

إنّ الفنان لا يصرّح بما يحمله فنه من قيم، وإنّما يوحي ويشير إلى القيم الأخلاقية التي يؤمن بها وجماعته، فيساهم في استمرارها. وبقدر ما يهتم الفنان بالقيم الأخلاقية التي ساهمت في تنشئته وفي صنع مكانته في مجتمعه، بقدر ما يساهم في تطورها ونشرها، ويصب هذا الأمر في فكرة مفادها ان العمل الفني لا مصداقية له إذا لم يتفاعل مع تاريخه وهويته وما يأخذه خلال نشأته من تكوين يتيح له استشراف زمن قادم عبر المساهمة في التعبير عن طموحات مجتمعية، ولو كانت دون قصد.

ختاما نعتبر كل أنواع الأعمال الفنية لا تقتصر فقط على التّعبير الفني، سواء كانت في السرد الأدبي والقصص، أو الأغاني والموسيقى، أو الفنون الحركية، أو الزخرفة... وغيرها لا تغيّر موازين القوى، أو تؤثّر بشكل مباشر على القرارات والسياسات، لكنّها تمثل أحد الأسباب والعوامل وأدوات التّواصل البارزة التي لا يمكن الاستغناء عنها، لأنّها تساهم في نقل القيم الأخلاقية ما بين الأجيال، وفي تحفيز المجتمع على التفكير والتفاعل مع القضايا الإنسانية والاجتماعية. إضافة إلى مساهمتها الفعالة في تشكّل الهويات الوطنية والانتماء، والعدالة الاجتماعية، ونشر روح المقاومة والصمود، والشجاعة والتّضامن، وفتح أبواب المحبة والتسامح والصدق، كما تزيد من روابط العائلة والمجتمع، وتدفع إلى عشق الحرية، والكرامة الإنسانية... وغيرها من القيم التي لا تزال محورية في اليومي المعيش. بهذا، يعتبر الفن مصدرًا قويًا لفهم التجارب الاجتماعية التاريخية وتعزيز التماسك الاجتماعي وتفعيل نسق القيم، بالتّالي ضمان استمرارها وديمومتها لا سيما وأنّ لها تأثير كبير على الشّباب وتشجيعهم، كما أنّ لها قدرة هامة في توسيع خيال الشعوب وإقناعها بقيم التّضحية والفداء، ولا تقلّ قدرتها في إعادة تصوّر الجماعة لنفسها وتاريخها المجيد.
رق أو اللون.

وبالعودة إلى الأغاني المحلية نجد الموروث منها والحديث، ولكن كلاهما لا يزالان حاضران، وقد عملت الانترنت على انتشارهما أكثر من ذي قبل، وهي في مجملها تدعو إلى قيمة التّسامح والصّفاء والنّقاء والنّزاهة في التعامل مع الآخر، وإلى التضحية وحب الوطن، أو الإخلاص والوفاء كما هو موجود في أشعار العربية في العصر الجاهلي، وإلى متانة الروابط الأسرية والابتعاد عن الأنانية وحب الخير للغير... وغيرها من القيم الأخلاقية. نجد مثلا في أغنية "يا الوالدين" للمغني الشّعبي "عبد القادر شاعو" وزميلته "نادية بن يوسف"، أو أغاني "دحمان الحراشي" التي دحمان الحراشي ترسل رسائل مشفرة تتضمّن التّسامح مع الذّات، الصدق والأمانة في الحب والتعامل مثلما نجده في أغنية "الي يحب صلاحو" أي ""الأناني" وأغنية "تسمع وتشوف" وغيرها من أغانيه التي وخطت بالحكمة والمبادئ الإنسانية الراقية، التي تقدم النّصيحة بهدف التنشئة الأخلاقية لما فيها من الالتزام بالأخلاقيات. هذا ونجد بعض الأغاني على غرار "وين الملايين" التي تدعو إلى رفض الذّل والإهانة، والعيش بكرامة، والوقوف مع المظلومين في فلسطين.

وبهذا نجد أنّ الموسيقى والأغاني ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل هي أداة قوية أيضا للتواصل ونشر القيم الإنسانية والأخلاقية، من خلال اختيار الكلمات واللحن المناسبين، ليتمكن الفنان من تحفيز النّاس على التّفكير في قضايا الأخلاق، وتوجيههم نحو سلوكيات أكثر إيجابية وصحية؛ تفيد المجتمع.

3.5 الفنون الحركية والقيم الأخلاقية: يجمع الرّقص بين الرّياضة والفنّ عبر الحركات المتناسقة التي تتباين وتتعدّد في الشّكل والإيقاع باختلاف زمن ومكان ظهورها، بالإضافة إلى اختلاف السّياقات المجتمعية والثّقافية التي تنحدر منها. يُختزل الرقص في التّعبير عن مزاج وعواطف الفرد أو الأفراد المنسجمين وجدانيا مع العواطف أو مع الموسيقى أو الغناء أو معهما على حدّ سواء.

كما يعتبر الرقص بكلّ أنواعه تعبير عن قيم أخلاقية مجتمعية مجودة بعمق هدفها تعزيز التّواصل التّفاهم والتعاون بين الأفراد أو الكشف عن صفاء ونقاء الدّاخل الإنساني. يختصر باحث فن الرّقص في أنّه لغة احتفالية طقسية تحمل مضامين سياسية واقتصادية، وثقافية ودينية، وعادات وتقاليد، وفولكلور الشّعوب، ليعبر عن شعورها الجمعي، هذه اللّغة تتمّ من خلال حركة الجسد.[19]

يصف باحث آخر بأنّه حركات منتظمة واعية حاملة لمقاصد ومعان إنسانية، لتصوغ خطابا مرئي غير لفظي، يعبّر عن مختلف القضايا والقيم الاجتماعية والرّمزية. ولفهمه يجب العودة إلى السّياق الثّقافي والتّاريخي للمجتمع.[20]

لقد كشفت العديد من المصادر التاريخية أن الرّقص وما يرتبط به من طقوس، ومراسم اقترن بالوجود الإنساني منذ أقدم العصور، حيث عبّرت حركاته عن الحالات النفسية والوجدانية كالفرح والحزن، والقلق والاستعداد للقتال وغيرها، وكان منها ما يؤدى خلال الاحتفالات الدينية من رقصات تعبيرية رمزية للتّقرب بها من الآلهة أو للحصول على مباركتها.[21]

ولأنّ الرّقص وحركاته المتباينة لم يكن مجرّد حركات بهلوانية لا تؤدّي رسائل توجّه تصرّفات النّاس نحو القيّم الأخلاقية الإيجابية أو تحفّزهم على التّفكير الأخلاقي، بل كلّ حركة تعبّر عن المشاعر الإنسانية والتّجارب الاجتماعية والوجدانية وعن القيم والمعتقدات مما يساهم في تعزيز التّفاهم والاحترام بين الثّقافات والشّعوب والأمم. كما تعبّر الرّقصات الجماعية التي تتكوّن من عدّة أفراد عن قيم الانضباط والتّفاني، التّضامن والتّضحية، الإتّحاد والتّعاون، الاحترام والتّسامح، الحرّية والتّواصل، الانسجام والتّناغم، والعدالة والمساواة... بين النّاس. هذه القيم الأخلاقية يمكن لمسها مثلا في رقصة الدّبكة عند الأتراك وعند المشارقة (فلسطين، سوريا، لبنان، الاردن، العراق) التي تصنّف اليوم ضمن أكثر الرّقصات الفلكلورية انتشارا في هذه الدّول. وهي رقصة تتكون من مجموعة من الأفراد (الذكور أو الإناث) يصطفون على شكل

صف أو على شكل قوس وأحيانا يتحوّل القوس إلى دائرة لتُؤدى الرقصة إما مختلطة أو بانفصال الجنسين. يترأس مجموعة الراقصين أول من بادر للرقص أولا، لذلك هو من يحدد لاحقا شكل ومنحى الرقصة، إذ يقوم أثناء قيادته للحلقة بأداء حركات متنوّعة تظهر مهاراته في الحركة من خلال ضرب الأرجل وتحريكها مع الأكتاف. إضافة إلى ما ذكر من قيم أخلاقية، تختزل من جهتها كل من رقصة الحرية لدى السّكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر)، ورقصة الفلامينكو حب العمل والتفاني والتفاعل والشّغف للحياة والانطلاق، كما تعكس ورقصة "السالسا" Salsa المرح والحيوية ومتعة التّواصل الايجابي بين النّاس، في حين تحثّ رقصة "الهيب هوب" Hiphop على العدالة الاجتماعية والسّياسية والتّضامن بطريقة فنّية.

لم تغيب أنواع الفنون الحركية بالجزائر عن سلّة القيم الأخلاقية المذكورة آنفا حيث تعبّر رقصة "العلاوي" المحلّية عن الفرح والحماس والطّاقة الايجابية، كما تشير إلى قيم الاحترام والتّفاهم والعمل الجماعي. وهو ما تعبّر عنه أيضا رقصة البارود التي تميّز منطقة الجنوب الجزائري، إذ لا تنحصر رمزية أغلب الرّقصات الجماعية في الجزائر في الجانب الرّوحي فقط، بل ارتبطت بمقاومة المستدمر الفرنسي، وكانت أداة مقاومة ونضال بالكلمة والعزف والأداء. واليوم أصبحت كل هذه الرقصات الشّعبية تشكّل جزءا هاما من التّراث التّقاليد المتعارف عليها التي يحافظ عليها أفراد بعض المجتمعات على غرار الجزائريين ويعتدون بها، على اختلاف أشكالها وأنواعها، ويعملون على إحيائها في المناسبات والمهرجانات. هذا، وتشجّعها الثّقافة العالمية، نظرا للأهمية التّعبيرية التي أدتها سابقا، ومتعة الفرجة التي تحققها اليوم في المناسبات المختلفة. في هذا المضمار يرى الباحث المصري "فوزي العنتيل" عبر كتابه الذي خصّصه لموضوع الفلكلور، أنّ هذا الفنّ هو نتاج الحياة نفسها، حيث نبع من النّشاطات اليومية للنّاس ليعكس الأعمال التي يقومون بها، ومختلف الأعياد والاحتفالات، والعادات والطّقوس الممارسة، ليشكّل بهذا المرآة الواضحة والصّريحة التي تعكس تاريخهم، وحضارتهم، وتباين الظّروف الطّبيعية المحيطة.[22]

6. خاتمة:

تحتل القيم الأخلاقية مكانة كبيرة في حياة الشعوب على اختلاف أجناسها وأجيالها، إذ تعني الارتقاء عن الحيوانية، والعيش في الفوضى، والخضوع لقانون الغابة. من جهتها تتحرك أنواع الفنون داخل هذه المنظومة القيمية التي يكرسها الإبداع، ويسعى إلى إيصال معاييرها وضوابطها عبر خطاب بصري أو سمعي مشفر رمزي. فالفن بهذا خطاب ذي قيمة جمالية وعمق دلالي يخفي تحت عباءة الجمال والاختلاف رسائل مضمرة تستهدف تقويم السلوكيات أو نشر الأفكار أو الإيديولوجيات أو القيم... وغيرها من الأهداف المسطّرة من قبل الفنان، أو الفنانين.

إنّ الفنان لا يصرّح بما يحمله فنه من قيم، وإنّما يوحي ويشير إلى القيم الأخلاقية التي يؤمن بها وجماعته، فيساهم في استمرارها. وبقدر ما يهتم الفنان بالقيم الأخلاقية التي ساهمت في تنشئته وفي صنع مكانته في مجتمعه، بقدر ما يساهم في تطورها ونشرها، ويصب هذا الأمر في فكرة مفادها ان العمل الفني لا مصداقية له إذا لم يتفاعل مع تاريخه وهويته وما يأخذه خلال نشأته من تكوين يتيح له استشراف زمن قادم عبر المساهمة في التعبير عن طموحات مجتمعية، ولو كانت دون قصد.

ختاما نعتبر كل أنواع الأعمال الفنية لا تقتصر فقط على التّعبير الفني، سواء كانت في السرد الأدبي والقصص، أو الأغاني والموسيقى، أو الفنون الحركية، أو الزخرفة... وغيرها لا تغيّر موازين القوى، أو تؤثّر بشكل مباشر على القرارات والسياسات، لكنّها تمثل أحد الأسباب والعوامل وأدوات التّواصل البارزة التي لا يمكن الاستغناء عنها، لأنّها تساهم في نقل القيم الأخلاقية ما بين الأجيال، وفي تحفيز المجتمع على التفكير والتفاعل مع القضايا الإنسانية والاجتماعية. إضافة إلى مساهمتها الفعالة في تشكّل الهويات الوطنية والانتماء، والعدالة الاجتماعية، ونشر روح المقاومة والصمود، والشجاعة والتّضامن، وفتح أبواب المحبة والتسامح والصدق، كما تزيد من روابط العائلة والمجتمع، وتدفع إلى عشق الحرية، والكرامة الإنسانية... وغيرها من القيم التي لا تزال محورية في اليومي المعيش. بهذا، يعتبر الفن مصدرًا قويًا لفهم التجارب الاجتماعية التاريخية وتعزيز التماسك الاجتماعي وتفعيل نسق القيم، بالتّالي ضمان استمرارها وديمومتها لا سيما وأنّ لها تأثير كبير على الشّباب وتشجيعهم، كما أنّ لها قدرة هامة في توسيع خيال الشعوب وإقناعها بقيم التّضحية والفداء، ولا تقلّ قدرتها في إعادة تصوّر الجماعة لنفسها وتاريخها المجيد.

7. الهوامش:

1 عبد اللطيف، **"ارتقاء القيم"**، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص 32.

2 هلا مُحَّد إبراهيم ،"القيم والعادات والتقاليد في العائلة اللبنانية"، **مجلة دراسات عربية** ،العدد 04، فيفري 1986، لبنان، ص 9

3 مُحَّد الجغمان، عبد الحي محمود، "علم النفس التربوي"، **مركز التنمية الأسرية**، جامعة الملك فيصل، 2008، ص 70

4 مالك بن نبي، **"ميلاد مجتمع: الجزء الأوّل"**، ترجمة عبد الصابور شاهين، دوة مالك بن نبي، لبنان، 1975، ص .53

5 جودة بني جابر، "**علم النفس الاجتماعي**"، ط01 ،دار الثقافة، 2011 ،ص .288

6 وليم هبيك، **"فن الرسم عند قدماء المصريين"**، ترجمة مختار السويقي، الدار اللبنانية المصرية، 1997، ص 11.

7 –مُحَّد غنيمي هلال، "**الرومانتيكية**"، مطبعة دار العودة، بيروت، 1973، ص 162

8 انظر:

9 أنجيل بطرس سمعان، **"دراسات في الرواية الانجليزية"**، الهيئة السورية العامة للكتاب، 1992، ص .10

10 المرجع نفسه.

11 Voir: George Orwell, *Animal Farm: A Fairy Story* , 1945 .

12 انظر: هاربر لي، **"لا تقتل طائرا ساخرا،"** ترجمة: توفيق الأسدي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1984، أو أنظر الرواية بعنوان آخر: **"ان تقتل طائرا بريئا"**، ترجمته داليا الشيال.

13 فيودور دوستويفسكي ، **"الأبله"**، ترجمة سامي الدروبي، دار ابن رشد للطباعة والنشر.

14 نجوى منصور، "**هوية الطفل الجزائري في رواية الدار الكبيرة** لـ"مُحَّد ديب"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد 9/ ماي 2016، ص .117

15 المرجع نفسه، ص 119.

16 المرجع نفسه ، ص 120.

17 الجزيرة، "موسم الهجرة إلى الشمال وسؤال الهوية عند الطيب صالح،" الموقع https://www.aljazeera.net، تاريخ التصفح 2025/2/7، الساعة 9.48.

18 جرجس سهير مجدي، "مدى الاستفادة من الموروث الموسيقي الليبي الآلي والغنائي في تدريس بعض مقررات الموسيقى العربية في مرحلة البكالوريوس و الدراسات العليا"، **مجلة علوم وفنون الموسيقى**، كلية التربية الموسيقية، جامعة حلوان، مصر، المجلد 40، جانفي 2019، ص 1816.

19 علي عبد المحسن علي، "**أهمية الرقص التعبيري في تعزيز أداء الممثل المسرحي العراقي**،" مجلة الأكاديمي، العدد 86، 2017، ص 81

20 Blacking, John (2018) Movement and Meaning: Dance in Social Anthropological Perspective, *The Journal of the Society for Dance Research,* Vol. 1, No. 1p 93

21 إياد مُحَمَّد حسين وعامر مُحَمَّد حسين، **الرقص الصوفي ورمزية الحركات الراقصة: المولوية أنموذجًا**"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثالث، 2013، ص 74.

22 فوزي العنتيل، "**الفلكلور ما هو؟**"، دار المسيرة ، مكتبة مرجولي القاهرة ، الطبعة الثانية، ،1987، ص 143.